مجلة المنهل ـ المجلد: 07، العدد: 02 (2021م) ـ ص ص 145 – 156
ISSN : 2437 – 1068 • EISSN 8392-2710

العدول الصرفي بين الأفعال في الحديث النبوي الشريف

Morphological Reform between Verbs in models fromm the N oble Prophetic Hadith

كريمة خوازم (*)
مخبر أبحاث في التراث الفكري والأدبي
جامعة الحاج لخضر–باتنة (الجزائر)
tamime100574@gmail.com

دفة بلقاسم
مخبر أبحاث في التراث الفكري والأدبي
جامعة الحاج لخضر–باتنة (الجزائر)
dr-deffabelkacem@hotmail.fr

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2021/09/12	2021/10/14	2021/11/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

تُعدّ ظاهرة العدول الصرفي من أهم الظواهر اللغوية الموجودة في الحديث النبوي الشريف، وهي ظاهرة تتم في جوهرها على مدى عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال عدوله عن صيغ معينة إلى صيغ أخرى، مع إمكانية إيراد الصيغ الأصلية، وقد تضمّن الخطاب النبوي أصناف العدول الصرفي المختلفة، وفي مقدمتها العدول الفعلي، والمقصود به العدول عن زمن معين إلى زمن آخر كالعدول عن الماضي إلى المضارع أو العكس.

الكلمات المفتاحية:

العدول الصّرفي؛ الحديث النبوي الشريف؛ العدول الفعلي؛ الصيغ الأصلية؛ الخطاب النبوي.

Abstract :

The phenomenon of morphological reversal is one of The most important linguistic phenomena found in the noble Prophe's hadih**.**

It is a phenomenon that reflects in its essence the externat of the genius of the Massenger,may God's prayers and peace be upon him through formulas with possibility of importing the original formulas.

The prophetic discourse included the different types ofmorphological change, formost of which the reversal verbal is intended to change form a certain time to another time, such as moving from the past to the present or the opposit.

Keywords:
morphological reversal; noble Prophet's hadith ;reversal verbal; Origmal formulas; propheteic discourse .

(*) المؤلف المراسل.

1. مقدمة

لقد كان الحديث النبوي الشريف –إلى جانب القرآن الكريم–ولازال معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة، ففصاحته صلى الله عليه وسلم فاقت فصاحة البلغاء والحكماء في كل عصر وآنٍ، أليس هو القائل عن نفسه: «أَنَا أَفْصَحُ العَرَبِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشَ.» (البغوي، 1983م/1403هـ، صفحة (202/4)باب فرض الجمعة رقم الحديث1045)، فكانت ظاهرة العدول الصّرفي تجسيدًا عمليًا لهذه العبقرية النبوية؛ حيث عدل ﷺ عن صيغ معينة إلى صيغ أخرى ولِحِكَمٍ قد نعرف بعضها من الوهلة الأولى، وقد لا نعرفها إلا بعد حين، ومن أنواع العدول الصّرفي الذي تضمّنه الخطاب النبوي العدول الفعلي، والذي يكون بين الأفعال على اختلاف أزمنتها الثلاثة (الماضي، المضارع، والأمر)، وإن كانت بنسب متفاوتة في الحديث النبوي الشريف، وللحديث عن هذا الموضوع تتبادر إلى أذهاننا جملة من التساؤلات من ضمنها:

ما المقصود بالعدول الصرفي؟ ما هي أصناف العدول الفعلي الواردة في الحديث النبوي الشريف؟ ما هي الصيغ الأصلية المعدول عنها؟ ما الغاية أو الغايات من العدول الفعلي في الحديث النبوي؟

وأمام هذه التساؤلات يُمكننا وضع مجموعة من الفرضيات منها: مفهوم العدول الصرفي لا يخرج عن المفهوم القديم للعدول، الغاية من العدول الفعلي ترجع في الأساس إلى حكمة نبوية أو ربانية،.

ونتوخى من هذه الدراسة مجموعة من الأهداف:

– استخراج ما أمكن من الأحاديث النبوية المتضمنة للعدول الفعلي.

– استنباط الحكم من العدول الصرفي بين الأفعال على اختلاف أنواعها.

ولتحقيق هذه الأهداف اتبعنا المنهج الاستقرائي والمقارن؛ فالاستقراء كان بدراسة الحديث النبوي بإمعان لاستخراج ما فيه من عدول صرفي بين الأفعال، وأمّا المقارن فيكون بمقارنة اللفظ الحاضر في الحديث النبوي ببدائله الممكنة في كلام العرب، والمقارنة بينهما من الناحية الدلالية وما يُضيفه المعنى المذكور من دلالات معنوية لم تكن لتوجد لو ذكرنا الصيغ البديلة.

2. مفهوم العدول الصرفي

2 ،1. لغة:

عَدَلَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْدِلُ عَدْلاً وَعُدُولاً: جَاءَ الحَقُّ: إِذَا جَارَ، عَدَلَ عَنْ رَأْيِهِ: حَادَ وَرَجَعَ عَنْهُ، وَيُقَالُ: «عَدَلَ عَنِّي يَعْدِلُ عُدُولاً إِذَا مَالَ كَأَنَّهُ يَمِيلُ مِنَ الوَاحِدِ إِلَى الآخَرِ، وَيُقَالُ:

إِذَا الهَمُّ أَمْسَى وَهْوَ دَاءٌ فَامْضِهِ * وَلَسْتُ أَمْضِيهِ وَأَنْتَ تُعَادِلُهُ.»**

(بن منظور، 1414هـ، صفحة 1/134).

و«(عَدَلَ) عَدْلاً وَعُدولاً وَعَدَالَةً ... وَيُقَالُ: عَدَلَ بِرَأْيِهِ عَدْلاً وَعُدُولاً أَشْرَكَ وَسوَّى بِهِ غَيْرَهُ.» (الزيات، عبد القادر، النجار، و مصطفى، 1992م، صفحة 2/588).

2،2. اصطلاحا:

هناك العديد من التعريفات الاصطلاحية، فمن القدامى نجد "الجرجاني"(ت:471هـ) الذي يقول: «العدل عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وفي اصطلاح النحويين: خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى.» (الجرجاني، 1983م، صفحة 147).

وقد عرّفه "ابن الأثير"(ت: 637هـ) بقوله: «اعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان، أنّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضتْ ذلك، وهو لا يتوخاه من كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة...» (ابن الأثير، 1992م، صفحة 3/180).

2،3. العدول الصرفي:

إنّ مصطلح "العدول الصرفي" يتضمّن كلمة الصرف لذلك يجب التّطرُّق أولاً إلى معرفة مفهوم علم التّصريف.

فهو «علم يبحث في بنية الكلمة من حيث بنائها ووزنها، وما يطرأ على تركيبها من تغيير موضعه: الاسم غير المبني، والفعل غير الجامد، ليس منه الحروف». (بن يعقوب، 2007م، صفحة 1/12)

فالعدول الصرفي يراه "ابن الأثير" بأنّه «كلام يَنتقل فيه من صيغة إلى صيغة إلى صيغة كانتقال الخِطاب من حاضر إلى غائب، أو من خطاب إلى الحاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماضٍ، أو غير ذلك.» (ابن الأثير، صفحة 3/167،186).

في الوقت الذي يعتبره "الزركشي" «نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر قصد استدراج أُذن السامع وتجديد لنشاطه وإخراجه من دائرة الملل والضجر.» (الزركشي، 1980م، صفحة 3/314).

3. العدول عن المضارع إلى الماضي:

هذا النوع أكثر أنواع العدول الفعلي تواجدًا في الحديث النبوي الشريف، ونذكر منها النماذج الآتية:

– كانتْ امرأة «من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين...فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما حملكَ على ما صنعتَ؟ قال حاطب: والله ما بي ألا أكون مؤمنًا بالله ورسوله صلى الله

عليه وسلم...فقال عمر: إنّه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه، فقال: أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطّلع إلى أهل بدر؟ فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبتْ لكم الجنة، أو فقد غفرتُ لكم.» (البخاري، 1422هـ، صفحة (5/145)رقم الحديث3983)، فدمعتْ عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم، فالعدول كان في الفعل "غفرتُ" بدلاً من الفعل " فسأغفر"، فقوله صلى الله عليه وسلم: «(اعملوا ما شئتم) ظاهره مُشكل لأنّه للإباحة وهو خلاف عقد الشرع، وأُجيب: بأنّه إخبار عن الماضي، أي: كل عمل كان لكم فهو مغفور، ويؤيِّده أنّه لو كان لِمَا يُستقبل من عمل لم يقع بلفظ الماضي، ولقال: فسأغفر لكم، ورد بأنّه لو كان للماضي بما حسن الاستدلال به في قصة حاطب، لأنّه صلى الله عليه وسلم خاطب به عمر منكرًا عليه ما قال في أمر حاطب، وهذه القصة كانتْ بعد بدر بست سنين، فدلّ على أنّ المراد ما سيأتي، وإنّما أورده بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه، وقِيل معناه الغفران لهم في الآخرة.» (محمد الشوكاني، 1993م، صفحة (8/12)، فجعل الفعل الماضي مكان الفعل المضارع لتأكيد وقوعه وثبات حصوله.

– فيما رُوِي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه «كان يومًا يُحدِّث، وعنده رجل من أهل البادية: (أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: ألست فيما شئت؟ قال: بلى).» (البخاري، صفحة (3/108) كتاب المزارعة رقم الحديث2348)، فعدل عن الفعل "يَستأذن ربه" إلى الفعل "استأذن ربه"، «فأخبر عن الأمر المحقق الآتي بلفظ الماضي.» (محمد القسطلاني، 1323هـ، صفحة (4/190)، فغايته صلى الله عليه وسلم من توظيفه للفعل الماضي بدلاً من الفعل المضارع إخبار عن أمر محقق حدوثه.

– عن عَدِيّ، قال: قلتُ يا رسول الله، طعامًا لا أدعه إلا تحرّجًا قال: «فلا تدعَنَّ طعامًا ضارعتَ فيه النصرانية.» (أبو داود، 1999م، صفحة (2/368)(رقم الحديث 1129)، قال صلى الله عليه وسلم "ضارعت" بدلاً من "تُضارع"، فـ «عبّر عن المضارع بالماضي مبالغة في تحقق المضارعة.» (أبو الحسن القاري، 2002م، صفحة (6/2654)، فالتشبه بالنصارى في مأكلهم أمر وارد حدوثه من قِبل الكثير من المسلمين الذين يكونون مولعين بتقليد غيرنا لذلك أُستعمل الفعل الماضي بدلاً من المضارع.

– في أحد الأيام وبينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم مع الصحابة رضوان الله عليهم غرز عودًا بين يديه، وآخر إلى جنبه، وآخر أبعد، فقال أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا الإنسان وهذا الأجل أراه، قال: وهذا الأمل، فيتعاطى الأمل فلحقه الأجل دون الأمل.» (البغوي، صفحة (14/285) رقم الحديث 4091)، والمقصود بـ "لحقه الأجل": «يلحقه الموت قبل أن يصله، وعبّر عن المضارع بالماضي مبالغة في تحقق حال وقوعه.» (أبو الحسن القاري، صفحة 8/3302)، إنّ الرسول

صلى الله عليه وسلم وظّف عبارة "فلحقه الأجل" بدلاً من عبارة "فيلحقه" لِمَا له من دلالة أدق على ملاحقة الأجل لصاحبه.

– قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «من صلى البردين دخل الجنة.» (البخاري، صفحة (1/119) كتاب مواقيت الصلاة، رقم الحديث574)، فالمقصود بالبردين: «صلاة الفجر وصلاة العصر، وعبّر بالماضي عن المضارع لمزيد التأكد بجعله متحقق الوقوع كالواقع، وخصهما لزيادة شرفهما أو لأنّهما مشهودتان تشهدهما ملائكة الليل والنهار.» (تاج العارفين، 1356هـ، صفحة 6/164)، في الحديث النبوي عدول عن الفعل "يدخل" إلى الفعل "دخل" وهذا لتأكيد حصوله في المستقبل، فالعقاب والثواب أمور غيبية مستقبلية، ولكن طالما أنّ الله تعالى ورسوله الكريم أخبرانا بحصولها فلم يعد هناك ما يدفع للشك، فصارتْ وكأنّها واقعة لأنّ الأمر لم يبق مجرد فعل وقع أو سيقع، وإنّما صار من أمور العقيدة، يدخل في باب الإيمان باليوم الآخر.

– قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مُنعتِ العراق درهمها وقفيرها، ومنعتِ الشأم مديها ودينارها، ومنعتْ مصر إردبها ودينارها.» (مسلم النيسابوري، 1991م، صفحة (4/2220) رقم الحديث2896)، فـ «التعبير بمنعتْ تعبير بالماضي عن المضارع أي ستمنع هذه البلاد الحب والمال بسبب الفتن بين المسلمين.» (شاهين لاشين ، 2002م، صفحة 10/512)، فالفتن التي تحدّث عنها الرسول الكريم لم تكن قد وقعتْ في زمنه صلى الله عليه وسلم، ولا الزمن السابق لزمن النبوة الأول، وإنما هي فتن ستقع بعد ذلك، وطالما أنّ الرسول عليه السلام لا ينطق عن الهوى، كان حديثه عن الأمور المستقبلية حديثًا مُؤَكَّد حصوله، فكان الفعل الماضي أنسب للمقام.

– قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غيرُ الدجال أخوف مني عليكم فإنْ يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولستُ فيكم فامْرُؤٌ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنّه شاب جَعْدٌ قَطَطٌ عينه طافية وإنّه يخرج خِلة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا و شِمالاً يا عباد الله اثبتوا.» (بن حنبل، 1998م، صفحة (16/250)المجلد4 رقم الحديث18096)، فالرسول صلى الله عليه وسلم «عبّر بالماضي عن المضارع لتحقق الوقوع أي يعيث يمينًا ويعيث شِمالاً، والعيث الفساد أو أشد فسادًا والإسراع فيه.» (شاهين لاشين ، صفحة 10/538)، فتوظيف الفعل الماضي "عاث" مكان الفعل المضارع "يعيث" له دلالة أبلغ، فظهور المسيح الدجال يُعدّ من علامات الساعة الكبرى التي لم تحدث بعد ومع ذلك أُستعمل الفعل الماضي لتحقق الوقوع مستقبلاً.

– عن كعب رضي الله عنه: أنه تقاضى ابن أبي حَدْرَد دَيْنًا كان له عليه في المسجد، فارتفعتْ أصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته، فخرج إليهما حتى كشف سِجْفَ

حجرته، فنادى: يا كعب، قال: لبيك يا رسول الله، قال: ضع من دَيْنِكَ هذا، فأومأ إليه –أي الشطر–قال: لقد فعلتُ يا رسول الله (البخاري، صفحة (3/122) باب الخصومات، رقم الحديث 2418)، ففي عبارة "لقد فعلتُ" «عبّر بالماضي عن المضارع ، مبالغة في امتثال الأمر.» (ابن زكريا الأنصاري، 2005م، صفحة 5/187)، لما أراد كعب رضي الله عنه أن يُبين انصياعه التام وامتثاله المطلق لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم وظّف الفعل "فعلتُ" مكان الفعل "سأفعل، التزامًا على القيام بالفعل في المستقبل.

– يتحدث الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن فتنة المسيح الدجال فيقول: «إذا أقيمتِ الصلاة فينزل عيسى ابن مريم فأَمّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الثلج.» (بن سعيد، 1416هـ، صفحة 6/1114 رقم الحديث598.)، هناك عدول عن "فَيَؤُمُّهُمْ" إلى "فأمّهم"، فقد «عدل عن الماضي تحقيقًا للوقوع، أو إشعارًا بجواز عطف الماضي على المضارع وعكسه.» (أبو الحسن القاري، صفحة 8/3413)، إن نزول المسيح عليه السلام يكون قبيل قيام الساعة، والتي مازالتْ غير واقعة ولا معلومة، وطالما أنّ حدوثها تحصيل حاصل، فكان الفعل الماضي أنسب لذلك، وما يُلاحظ على الفعل "أمّهم" معطوف عن الفعل "ينزل" وهما مختلفان زمنيًا، وهذا جائز في اللغة العربية.

3. العدول عن الماضي إلى المضارع:

هناك العديد من الأحاديث النبوية المتضمّنة لهذا النوع من العدول الفعلي نذكر منها الآتي:

– حينما كان عمار بن ياسر ينقل لبنتيين عند بناء المسجد النبوي فمرّ به النبي صلى الله عليه وسلم، فمسح عن رأسه الغبار وقال:«ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى النار.» (البخاري، صفحة (4/21) كتاب الجهاد والسير، رقم الحديث 2812)، ففي هذا الحديث عدول عن الماضي إلى المضارع حيث « قال: يدعوهم بلفظ المستقبل، وهذا لفظ الماضي، قيل العرب قد تُخبر بالفعل المستقبل عن الماضي إذا عُرِف المعنى، كما تُخبر بالماضي عن المستقبل، فقوله: (يدعوهم) إلى الله؛ لأنّ محبة عمار كانتْ بمكة مشهورة، فأشار صلى الله عليه وسلم إلى ذكرها لمّا طابقتْ شِدّتُه في نقله لبنتين شدته في صبره بمكة على عذاب الله، فضيلة لعمار، وتنبيهًا على ثباته، وقُوّته في أمر الله تعالى.» (ابن بطال، 2003م، صفحة 5/27)، فالرسول صلى الله عليه وسلم عدل عن الفعل "دعاهم" إلى الفعل "يدعوهم" على اعتبار أنّ عمار رضي الله عنه كان قد دعا المشركين إلى عبادة الله وحده حينما كان بمكة.

– اعتمر النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يُقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب، كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: «لا نُقِرُّ بها فلو نعلم أنّك رسول الله ما منعناك لكن أنتَ محمد بن عبد الله...فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن

عبد الله» (البخاري، صفحة (3/184) كتاب الصلح، رقم الحديث2699)، العبارة المتضمنة للعدول هي "فلو نعلم أنّك رسول الله، و«اعلم أنّ لو للماضي، وإنّما عدل هنا للمضارع ليَدُلُّ على الاستمرار، أي: استمر عدم علمنا برسالتِكَ.» (العيني، 2001م، صفحة 13/276)، فأصل الكلام لو علمنا أنّكَ رسول الله، ولكن مادامتْ عملية عدم التّصديق والإيمان مستمرة كان الفعل المضارع أنسب للمقام، فالاتفاقية التي تحدّث عنها الحديث هي "صلح الحديبية" التي وقعتْ في السنة السادسة للهجرة، وقد كان رسول قريش في هذا الصلح "سُهيل بن عمرو" الذي كان يتميز بالحنكة والدهاء والفصاحة.

– في حادثة تكاد تكون نادرة في باب التوبة النصوح قصة المرأة التي زنتْ ثم تابتْ، فجاءتْ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تطلب منه أن يُقيم عليها الحد، فطلب منها أن تتريث حتى تتأكد من حملها من عدمه، وعندما تأكدتْ من الحمل عادتْ إلى الرسول من جديد لتُخبره بأمرها، فطلب منها أن تُؤجَّل العقوبة إلى حين وضع مولودها، فانتظرتْ حتى وضعتْ ابنها الذي كان ذكرًا لتعود مجددًا، فيطلب منها الرسول مرة أخرى أن تنتظر حتى يُفطم صغيرها، وفي المرة الأخيرة عادتْ ومعها ولدها الذي فُطِم، وكان يحمل في يده قطعة خبز أي أنّه صار يعتمد على نفسه في أكله، عندئذٍ «أمر الناس أن يرجموها، فأقبل خالد ابن الوليد بحجر فرمى رأسها، فنضح الدّم على وجنة خالد...» (بن حنبل، صفحة (7/617) المجلد 7 رقم الحديث 23337)، لقد «تقرر في علم المعاني أنّ القصة إذا كانتْ عجيبة الشأن يُعدَّل من الماضي إلى المضارع لتصوير تلك الحالة مشاهدة واستحضارًا ليتعجب السامع منها» (أبو الحسن القاري، صفحة 6/2337)، فقد قال: "أن يرجموها" عوضًا "فرجموها"، استحضارًا للقصة والاعتبار منها.

– جاء ابن مكتوم رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدتُ» (البخاري، صفحة (4/25) كتاب الجهاد والسير ، رقم الحديث 2832)، وكان رجلاً أعمى، فـ«قوله(لو أستطيع) أصله لو استطعتُ عدل إلى المضارع إما لقصد الاستمرار أو لغرض الاستحضار » (الكرماني، 1356هـ، صفحة 12/127)، فكلا الغرضين جائز؛ فإن كان لغرض الاستمرار فهذا مقبول من الناحية المنطقية لأنّ ابن مكتوم كفيف فعدم استطاعته مستمرة باستمرار فقدانه للبصر، وإمّا لغرض الاستحضار، فعجزه رضي الله عنه عن الجهاد تعدّى الزمن الماضي ليَدُلَّ عن الزمن الحاضر.

– أُتِي ابن عمر فقِيل له هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة، فقال ابن عمر: «فأقبلتُ والنبيّ صلى الله عليه وسلم قد خرج وأجد بلالاً قائمًا بين البابين.» (البخاري، صفحة (1/88)، كتاب الصلاة رقم الحديث 397)، لقد قال "وأجد" بدلاً من «أن يقول: "ووجدتُ" وكأنّه عدل عن الماضي إلى المضارع استحضارًا لتلك الصورة، حتى كأنّ المُخاطَب يُشاهدها. قوله قائمًا بين البابين أي المصراعين.»

(بن حجر العسقلاني أ.، 1379هـ، صفحة 1/500)، فالفعل "أجد" معطوف عن الفعل "خرج" الذي ورد بصيغة الماضي، إلا أنّه جاء بصيغة المضارع "أجد"، وذلك حتى تكون الصورة ماثلة أمامنا.

– عن زيد بن خالد الجُهَنِيّ أنّه قال: لأَرْمُقَنَّ صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة قال: فتوسّدتُ عتبته أو قُسطاطه. (الخرساني، 1991م، صفحة (4/79) رقم الحديث 5536)، حيث: قال: «لأرمقنّ: بضم الميم، أي؛ لأنظرنّ وأتأمّلَنّ وأحفظنّ وأرقُبنَّ (صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)، قال الطيبي: وعدل هاهنا عن الماضي إلى المضارع استحضارًا لتلك الحالة لتُقَرِرها في ذهن السامع.» (أبو الحسن القاري، صفحة 3/906) ، ولم يقل: «رمقتُ استحضارًا لتلك الحالة الماضية ليُقرِّرَها للسامع أبلغ تقرير أي لأنظرنّ.» (الزرقاوي، صفحة 1/440)

– عن عائشة، قالت: فقدتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخرجتُ، فإذا هو بالبقيع رافعًا رأسه إلى السماء، فقال لي: «أكنتِ تخافين أن يَحِيف الله عليك ورسوله.» (بن حنبل، صفحة (8/467) المجلد8، رقم الحديث 26546)، فكان الظاهر «أن يُقال أَخِفْتِ أو كنتِ خفتِ، لكن عدل عن الماضي إلى المضارع، استحضارًا للحال الماضية، فكأنّه قال لها: أظننتِ ظنًّا مُنسحِبًا إلى الحال.» (أبو الحسن القاري، صفحة 3/968)، فعدوله صلى الله عليه وسلم عن الماضي إلى المضارع استحضارًا للماضي وجعله واقعًا حاليًا.

– في أحد الأيام سأل الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه هل منهم شاهد الليلة الماضية رؤيا أم لا؟ فأخبروه بأنّهم لم يروا ذلك، فأخبرهم بأنّه شاهد الرؤيا وممّا جاء فيها أنّه رأى رجلاً على شط النهر يحمل بين يديه حجرًا، وآخر يسبح في النهر، وعندما «أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فردّه حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه الحجر، فيرجِع كما كان...» (البخاري، صفحة (2/100) كتاب الجنائز، رقم الحديث 1386)، لقد كان العدول في الفعل "فيرجع"، «وهو عطف على "فجعل"، ولعل العدول عن الماضي إلى المضارع لاستحضار الحال.» (أبو الحسن القاري، صفحة 7/2926)، إذن فالفعل "يرجع" معطوف عن الفعل "جعل"، ومعلوم أن الأفعال المعطوفة تأخذ نفس الزمن، إلا أنه صلى الله عليه وسلم عدل عن الماضي إلى المضارع وهذا حتى يستحضر الصورة أمام الصحابة فيتعِظون.

– حينما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوحي، فقال: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد عليّ فيَفْصم عني وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحيانًا يتمثّل لي الملَك رجلاً فيُكلمني فأعي ما يقول.» (البخاري، صفحة (1/6) كتاب بدء الوحي، رقم الحديث 2)، قد يتساءل سائل فيقول «لِمَ قال في الأول وعيتُ ما قال بلفظ الماضي، وفي الثاني بلفظ المضارع قلتُ لأنّ الوعي في الأول حصل قبل

الفصم، ولا يتصور بعده وفي الثاني الوحي حالة المكالمة، ولا يتصور قبلها أو لأنّه كان الوعي في الأول عند غلبة التلبس بالصفات الملكية، فإذا عاد إلى حالته الجبلية كان حافظًا، فأخبر عن الماضي بخلاف الثاني فإنّه على حالته المعهودة، أو تقول لفظة قد تُقَرِّبُ الماضي من الحال وأعي فعل مضارع للحال لمّا كان صريحًا يحفظه في الحال وذاك يقرب من أن يحفظه إذا احتاج فيه إلى استثبات.» (الكرماني، صفحة 1/2829)، فالفعل "وعى" تارة جاء بصيغة الماضي "وعيتُ" وتارة بصيغة المضارع "أعي" وذلك حسب مقتضى الحال.

–قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينما أنا نائم، أتيتُ بقدح لبن، فشربتُ حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب.» (البخاري، صفحة (1/27)، كتاب العلم، رقم الحديث 82)، لقد عدل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الفعل "رأيتُ" إلى الفعل "لأرى"، فـ «الفائدة في العدول فيه عن الماضي إلى المستقبل؟ قلت: فائدته استحضارًا صورة الرؤية للسامعين قصدًا إلى أن يبصرهم تلك الحالة وقوعًا وحدوثًا.» (الكرماني، صفحة 1/62)، فالعدول في هذا الحديث له نفس الغاية من الأحاديث السابقة والمتمثلة في استحضار الصورة أمام السامعين لتقريب الفكرة وتوضيحها.

4. العدول عن الأمر إلى المضارع:

من النماذج النادرة لهذا النوع من أنواع العدول نذكر الحديث الآتي:

–عن أبي محذورة –رضي الله عنه–قال: ألقى إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم التأذين بنفسه فقال: «قل الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد أنّ لا إله إلا الله، أشهد أنّ لا إله إلا الله، أشهد أنّ محمدًا رسول الله، أشهد أنّ محمدًا رسول الله. ثم تعود فتقول: أشهد أنّ لا إله إلا الله أشهد أنّ لا إله إلا الله، أشهد أنّ محمدًا رسول الله أشهد أنّ محمدًا رسول الله، حي على الصلاة حي على الصلاة، حي على الفلاح حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله» (أبو إبراهيم، 1406هـ، صفحة (1/290)، باب ما جاء في الآذان، رقم الحديث 281)، لقد عدل «عن الماضي إلى المضارع في قوله: ثم تعود فتقول. والظاهر أنّه عدول عن الأمر إلى المضارع لقوله: (فقال: (قل)، وبيانه أنّ (ثم تعود) عطف على (قل) لا على ألقى.» (أبو الحسن القاري، صفحة 2/548)، فالفعل الذي حدث فيه عدول هو "تعود" الذي عُطِف على الفعل "قل" والذي صُرِّف في زمن الأمر.

5. الحكمة من العدول الفعلي:

إنّ الغاية أو الغايات من العدول الفعلي في الحديث النبوي الشريف كثيرة ومتعددة، فمنها ما يُفهم بمجرد قراءتنا للحديث، وهناك ما يُفهم بعد فحص وتمحيص، وهناك ما لا نجد لها تفسيرًا وإن أردنا ذلك، فنؤولها تأويلات مختلفة، ومن بين الحكم العديدة نذكر ما يلي:

– قد يكون الهدف من العدول الصرفي عن الماضي إلى المضارع استحضارًا للحدث، وجعل الصورة الماضية ماثلة أمامنا، وهذا لتقريب المشهد من السامع، فيشعر وكأنّه قد وقع في الحال.

– في كثير من الأحيان يكون العدول عن الماضي إلى المضارع قصد استمرار وقوع الحدث من عدمه في الزمن الحاضر، وقد يستمر ذلك في المستقبل.

– قد تكون الغاية من العدول عن المضارع إلى الماضي لتحقق الحدث وحصوله لا ما حالة، أو للمبالغة في حدوثه.

– من غايات العدول عن المضارع إلى الماضي للإخبار عن الأمر المحقق كالواقع الذي لا شك من حصوله في الحاضر أو المستقبل، كالحوادث المتعلقة بيوم البعث وما يلي هذا اليوم من أهوال ووقائع، ووعد ووعيد، وعقاب وثواب.

– التعبير بالماضي على المضارع للدلالة على المبالغة في الامتثال لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم على اعتبار أنّ الحديث النبوي الشريف هو موضوع دراستنا.

– إنّ العدول عن الأمر إلى المضارع القصد منه المبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المربيّ الأول والمرشِد الحكيم لجميع المسلمين.

– قد نجد في بعض الأحاديث النبوية تجاوزًا لبعض القواعد النحوية المألوفة كأن نعطف الماضي على المضارع أو العكس، فيحصل عدول فعلي.

7. خاتمة

يزخر الحديث النبوي بالعديد من أصناف العدول الصرفي، ومن بينها العدول الفعلي أي العدول بين الأفعال على اختلاف أنواعها، ولهذا الصنف من العدول أهداف ومرامٍ مختلفة من حديث لآخر، وهذا ما يَدُلُّ على عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم في اختياره لصيغ دون أخرى، كما أنّ العدول الفعلي اختلفتْ نسبه في الحديث النبوي من نوع لآخر، وبعد الخوض في الموضوع يُمكننا التوصل إلى الاستنتاجات الآتية:

– إنّ أنواع العدول في الأفعال متباينة من حيث العدد، ففي الوقت الذي نجد فيه عدد الأحاديث النبوية المتضمنة للعدول عن الماضي إلى المضارع أو العكس وردتْ وبعدد كبير، في الوقت الذي نَدُرَ فيه النوع الآخر (العدول عن الأمر إلى المضارع).

– لم يكن العدول الفعلي اعتباطًا بل كان لتحقيق غايات لم تكن لِتُحَقَّق لو أوردنا الصيغ المعدول عنها، ومن بين هذه المرامي: استحضار الصورة الماضية وتقريب المشهد من السامع وكأنّها معروضة أمامه.

– للتأكيد على استمرار وقوع الحدث يُوَظَّف الفعل المضارع عوضًا عن الماضي.

– يُلْجَأُ للماضي إذا كان القصد من ذلك الإخبار عن أمر مؤكَّد حصوله في الحاضر أو المستقبل كالحديث عن أهوال يوم القيامة والأحداث التي تعقِب هذا اليوم، أو الدلالة على المبالغة في حصول الفعل.

– قد يستعصي علينا – في بعض الأحيان– فلا نعرف الحكمة من العدول عن زمن إلى زمن آخر، وهذا ما يفتح المجال واسعًا وأبوابًا جديدة في دراسة الحديث النبوي الشريف، وما على علماء اللغة والنحو إلا أن يبحثوا في هذه الغايات المجهولة لتسهيل الدارسات والأبحاث في هذا المجال.

8. قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الأثير. (1992م). المثل السائر في أدب الكاتب،ج3 (ط2). (تحقيق محي الدين عبد الحميد) بيروت، لبنان: المكتبة العصرية.
2. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي. (1983م/1403هـ). شرح السنة (ط2). (تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير) دمشق، سوريا: المكتب الإسلامي.
3. أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، و إبراهيم مصطفى. (1992م). المعجم الوسيط ،ج2 (المجلد ط1). الاسكندرية، مصر: دار الدعوة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
4. أحمد بن الحسين الخرساني. (1991م). معرفة السنن والآثار، ج4 (ط1). (تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي) دمشق، سوريا: دار قتيبة.
5. أحمد بن حنبل. (1998م). مسند أحمد بن حنبل، ج7 (ط1). (تحقيق: أبو المعاطي النوري) بيروت، لبنان: عالم الكتب.
6. أحمد بن علي أبو الفضل بن حجر العسقلاني. (1379هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1 (ط1). (إخراج وإشراف: محب الدين الخطيب) بيروت، لبنان : دار المعرفة.
7. أحمد بن محمد القسطلاني. (1323هـ). إرشاد الساري لشرح صحيح البخاي، ج4 (ط7). مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.
8. إسماعيل بن يحي أبو إبراهيم. (1406هـ). السنن المأثورة للشافعي، ج1 (ط1). (المحقق: عبد المعطي أمين لعجي) بيروت، لبنان: دار المعرفة.
9. الحجاج مسلم النيسابوري. (1991م). صحيح مسلم، ج4 (ط1). بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.

10.الشريف الجرجاني. (1983م). التعريفات (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
11.الطيالسي أبو داود. (1999م). مسند أبي داود ،ج2 (ط1). (تحقيق: حمد بن عبد المحسن التركي) مصر: دار هجر.
12.بدر الدين الزركشي. (1980م). البرهان في علوم القرآن، ج3 (ط2). (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم) القاهرة: دار الفكر.
13.بدر الدين العيني. (2001م). عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج13 (ط2). بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
14.زكري بن محمد بن أحمد ابن زكريا الأنصاري. (2005م). منحة الباري بشرح صحيح البخاري، ج5 (ط1). (تحقيق :سليمان بن دريع العازمي) المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد.
15.شمس الدين الكرماني. (1356ه). الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ج12 (ط1). بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
16.عبد الرؤوف تاج العارفين. (1356ه). فيض القدير شرح اجامع الصغير، ج6 (ط1). مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
17.عبد الله بن يعقوب. (2007م). المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف، ج1 (ط3). بيروت، لبنان: مؤسسة الريان.
18.عثمان بن سعيد. (1416ه). السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، ج6 (ط1). (رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري) الرياض، السعودية: دار العاصمة.
19.علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال. (2003م). شرح صحيح البخاري لابطال، ج5 (ط2). (تحقيق:أبو تميم ياسر بن إبراهيم) الرياض، السعودية: مكتبة الرشد.
20.محمد بن إسماعيل البخاري. (1422ه). صحيح البخاري، ج4 (ط1). (تحقيق: زهير بن ناصر الناصر) جدة، السعودية: دار طوق النجاة.
21.محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاوي. (2003م). شرح الزرقاوي على موطأ الإمام مالك، ج1 (ط1). (تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد) القاهرة، مصر: مكتبة الثقافة الدينية.
22.محمد بن علي محمد الشوكاني. (1993م). نيل الأوطار،ج8 (ط1). (تحقيق:عصام الدين الصبابطي) مصر: دار الحديث.
23.محمد بن مكرم جمال الدين بن منظور. (1414ه). لسان العرب.ج1 (ط3). بيروت، لبنان: دار صادر.
24.موسى شاهين لاشين . (2002م). فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ج10 (ط1). مصر: دار الشروق.
25.نور الدين الملا الهروي أبو الحسن القاري. (2002م). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ط1). بيروت، لبنان: دار الفكر.